مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــــرام

التاريخ : ١٩٧٥/٩/٢

حديث على هامش
الاتفـــــــاقيـــة

تأمـل

اتفاقية المرحلة الثانية للفصل بين القوات على جبهة سيناء ينبغى ان يجرى باعصاب هادئة ، فلو اطلق المرء العنان لانفعالات اعصابه وشيقه بضروب الفنمت الاسرائيلى الرذل لظل بالليل والنهار يلعن اسرائيل ومن اوجدها ودعمها . ولا مانع طبعا من ان نلعنهما او من ان نحتفظ بما نحتفظ به من مشاعر تجاههما . ولكن السؤال فى « دنيا السياسة » ـــ لا العواطف ـــ هو : لم ماذا ؟! ومن ناحية اخرى فانه لو استرسل المرء فى سخطه على « جبهة الرفض » بمختلف درجاتهم ومشاربهم لربما وصل فى المغالاة الى حد تصور ان الاتفاقية هى غاية المراد .. ومن المؤكد انها ليست كذلك . فما اجمل ضبط الاعصاب والموضوعية اذن .

واذا كانت الايام والتجارب قد اطلعتنا على طبيعة العدو الاسرائيلى فهو اطلاع مواجهة لا استسلام ، فنحن لم نستسلم ولن نستسلم ابدا ، ولن نشل قدرتنا على احداث خرق وشرخ فى تلك الطبيعة الاسرائيلية المعروفة لدينا ولدى الكثيرين بانها عدوانية ومماطلة وابتزازية .

بقلم

مصطفى بهجت بدوى

ولنأخذ مثلا القرار ٢٤٢ الذى صدر باجماع أصوات أعضاء مجلس الامن بما فيهم أمريكا ، والذى نص على وجوب انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها فى عدوان ٥ يونيو ٦٧ وعلى احترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . لقد وافقت مصر والاردن وسوريا على القرار ، كما ادعت اسرائيل الموافقة . غير أن القرار لم يكن قابلا للتنفيذ بذاته أو بمجرد صدوره ، وانما اشار فى بنده الثالث الى انه « يطلب من السكرتير العام للامم المتحدة أن يعين ممثلا خاصا الى الشرق الاوسط إقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة فى الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة فى هذا القرار » . ومن تحصيل الحاصل التحدث عن استغلال اسرائيل — ومعها أمريكا جونسون — لهذه « الفجوة التنفيذية » فى القرار ومن « رذالة » المماطلة التى اتبعتها لاكثر من سنة « جونار يارنج » مبعوث سكرتير عام الامم المتحدة ، والذى توقف — مع الاستفزاز والاحباط — « بكوكه المكتشف » ! ثم اختار صاحبنا أن ينسحب هو مادامت اسرائيل لا تنسحب ، وآثر السلامة .. وكأنما فاتنى الدرس من سلفه السويدى « الكونت برنادوت » الوسيط الدولى الذى اغتالته يد الارهاب الاسرائيلية حين كشفها وقال الحق بأعلى صوته !

وعندما أخذ كيسنجر « صاحب المكوك الفاتى المطلق السريع » يستأنف هذا العلم مهمته ، والتى لم تخرج فى جوهرها عن ضرورة تطبيق قرار مجلس الامن ٢٤٢ المتفق عليه ، « تجاسرت » اسرائيل فاغتالت المراقيل فى مارس ٧٥ ، ثم فى هذه المرة مارست هوايتها وطبيعتها فى « الابتزاز » ليكون ثمن الانسحاب الى ما بعد الممرات — اى عن جزء من الارض المحتلة — وثمن « التنازل ! » عن حقول أبو رديس ٣٠٠٠ مليون دولار مساعدة من أمريكا !

وانما أضرب هذا المثل — اى تباطؤ اسرائيل فى تنفيذ قرار ٢٤٢ ، وهو من لب القضية التى درنا فيها طويلا — لأصب الغضب المصبى على اسرائيل ومن ساندها .. فالغضب المجرد لايصنع شيئا كثيرا ، ولكن لابد بين المرحلتين وتشابههما واختلافهما ، وللعرض الى طبيعة العدو ، واهم من ذلك .. لادلل على ان « المتغيرات » فى المنطقة مهما بدت بطيئة نسبيا فانها بالتأكيد من ثمار نجاحنا فى معركة العبور . ان نتائج حرب رمضان و ٦ اكتوبر احدثت الشرخ فى اسرائيل ، وحركت الموقف المتجمد الذى كانت تضغط به اسرائيل حتى ضغطنا نحن بحركتنا العسكرية والسياسية واصبح للعرب احترام وحساب بعد طول غياب . بل اننى لاذكر لن كيسنجر نفسه — وجناحا طائرته العالمية من سهاكة قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨ فى واقع الامر — قال لسفراء العرب فى واشنطن خلال سبتمبر ٧٣ ، وكان حديث الجهد بتوليه منصب وزير الخارجية الامريكية دعوكم من قرار مجلس الامن ، ولنهدأ من جديد ، واتركوا المسألة لى » ! ونفى عن البيان انه لم يكن بمستطاع ان يفعل اكثر مما فعله سلفه روجرز ، لولا ان اخذنا نحن المبادرة بعد ايام قليلة فى « مفاجأة » ٦ اكتوبر ، وكسرنا الجمود ، وشققنا فى الصخر طريق السلام القائم على العدل ، وهو الطريق الوحيد والذى لا نصيح لاحد من الوسطاء — أيا كان هذا الاحد — ان يسلك سواه للحل :

ولقد يثور سؤال او مقارنة : لماذا قامت مظاهرات فى اسرائيل ضد كيسنجر وضد الاتفاقية فى حين ان مباحثات كيسنجر هنا مرت بغير مظاهرات ضدها او معها !

والمظاهرات العدائية التى جرت فى اسرائيل هى على الارجح ذات شقين : احدهما من المتطرفين الذين يكرهون العرب اشد الكراهية ويعلمون باسرائيل « الكبرى » ويتمزقون من آثار اول هزيمة تجرعوها ويعارضون حكومتهم فيما يتصورونه خضوعا لامريكا . والشق الثانى مدفوع ومدبر من الحكومة الاسرائيلية ذاتها بغية « المغايلة » و « المهايلة » للحصول على اكبر

مساعدة مستطاعة وعلى أقل «خسارة» ممكنة ! ومراعاة لبعض الموازنة حشدت الحكومة الاسرائيلية بضعة آلاف من أنصارها هاتفين لها مؤيدين ببعض التحفظات المحسوبة !

والامر غير ذلك تماما في مصر • لا أحد يحب اسرائيل بطبيعة الحال ، بل ان عداءنا لها أشد وأعمق •• وان تميز بالمشروعية • اما فيما يتعلق بالاتفاقية فنحن نعرف طريقنا ونثق في قيادتنا التي تثق بدورها فينا • وتشكل مصر — على وجه الخصوص — نموذجا حميدا ويقظا للوحدة الوطنية شعبا وحكومة • لا مزايدة ولا مناقصة مطروحة هنا • المسألة ببساطة أننا مع مراعاة كل الاعتبارات العملية نستثمر انتصاراتنا في حرب اكتوبر ، و « نفك » — بعملنا ودأبنا وشجاعتنا وحصافتنا — «الطلاسم» التي عوقت لبعض الوقت مسار التاريخ وحتميته •

ان ما يجمع بين أمريكا واسرائيل لا يخفى علينا ، ونحن لن نستطيع تغييره تغييرا ذا بال في سنة أو اثنين، ولكنا نستطيع واستطعنا التعامل مع أمريكا — ومواجهة اسرائيل — على أساس مختلف عما درجنا عليه في الماضي وفرق بين أن تعذر بنا أمريكا وتهب لنجدة اسرائيل وانقاذ ما يمكن انقاذه — وتلك هي المؤشرات منذ حرب اكتوبر — وبين ألا تقيم لنا أمريكا وزنا مكتفية بدعم اسرائيل وتسليحها علينا وترك حبل عدوانها على الغارب•• بل واعتماده ومباركته كما كان عليه الحال في جميع السنوات والمراحل السابقة الى ان تم عبورنا المجيد ، وذلك باستثناء موقفها من العدوان الثلاثي الذي كانت له ظروفه الدولية الاستثنائية •

واستكمالا للصورة نتناول « ثغرة الدفرسوار » • ولسنا نجد أي حرج في الحديث عن تلك الثغرة التي «بلطجت» بها اسرائيل دعايتها بضعة أسابيع لايهام العالم أنها خطفت بعض النصر ، بينما كانت تعرف كيف أن قوات هذه الثغرة أشبه برهائن مقفى عليهم قضاء يصيب اسرائيل في الصميم • وكانت أمريكا تدرك ذلك تماما ، ومن هنا بادر كيسنجر بانقاذ اسرائيل سريعا • وتوصلنا الى **اتفاق النقاط الست** ثم اتفاقية **الفصل الاول** بين القوات في سيناء ، والذي سحب قوات اسرائيل الى ماوراء خطوط **وقف اطلاق النار** في ٢٢ اكتوبر ٧٣ • **وكسبت مصر** • وتنفست اسرائيل الصعداء نسبيا • والذي حدا بنا الى قبول ذلك رغم استطاعتنا القضاء على الثغرة أمران • **الاول** : أن الابادة المؤكدة للثغرة كانت ستكبدنا تضحيات بشرية ملحوظة ، وان كانت خسائر اسرائيل ستصبح أشد وأوجع وأبعد أثرا • ومنطق الرئيس السادات — بعد رد اعتبار مصر والعرب بمعركة العبور — انه قد يغني عن اراقة الدماء ويفضيها ما نستطيع التوصل اليه **بالحل السياسي** تحقيقا لاهدافنا ، ومع كل الحفاظ على مبادئنا • **والثاني** : أن فك الاشتباك — كما أعلن الرئيس السادات منذ البداية — هو مع أمريكا أساسا وبالدرجة الاولى •

والواقع انه حديثي عن الماضي هو غير منفصل عن الحديث على هامش الاتفاقية الجديدة للفصل بين القوات بسيناء ، بل لعله في « متن » الحديث !

ان الكثير مما قرأناه حول الاتفاقية الجديدة في بعض الصحف العربية سواء منها الرافضة أو المتشككة أو المتسائلة يقوم على تخرصات وتكهنات ، أو على أنباء كاذبة ومدسوسة ، أو على اساءة الظن الظالمة ، أو على فقدان الثقة في النفس وفي امكانية الوصول الى اتفاق لصالحنا ولصالح القضية • كأنها صورة أخرى لما حدث في اتفاقية بناير ٧٤ التي أساء فهمها البعض ثم عدلوا• ولا أخالنا نمنع أحدا من أن يبدي وجهة نظره سواء أكانت الصحف أو الدوائر العربية أو المنظمات الفلسطينية ، ولكن أما كان أولى بهم أن ينتظروا ؟ نحن فقط لا نحب التجني واختلاق الاكاذيب • **اننا لا نخفي شيئا • لا اتفاقات سرية ولا موجب لها ، فلسنا نخشى ان نقول كل ما عندنا وفي صراحة تامة••** هكذا اعتاد **الرئيس السادات** أن يواجه الامور في لقاءاته مع الجماهير وفي تصريحاته وفي كلماته الى الاصدقاء وغير الاصدقاء

ان حرص مصر ـ والسادات ـ على السلام قضية لا شك فيها . غير أن السلام لم يكن يعنى عندنا فى الماضى الاستسلام ، وهو بالقطع لا يعنى فى الحاضر والمستقبل أى نوع من أنواع الاستسلام . ان مسألة « المرونة » و « المرحلية » والكلام عن « الممكن » لا يترجم أبدا وبأى معيار على أنه لون من « التفريط » . أى تفريط ؟ نحن لم نفرط ولن نفرط فى شبر واحد من الارض العربية . بل ان ما صنعناه ابتداء من القتال حتى الآن وحتى مؤتمر جنيف القادم ـ أى تحركنا العسكرى وتحركنا السياسى ـ هو من أجل استعادة جميع الارض العربية المحتلة . وان مساندتنا منظمة التحرير الفلسطينية ايمانا بالقضية الفلسطينية العربية التى بذلنا ولن نبرح نبذل الكثير فى سبيلها هو من واقع حرصنا على الهدف الثانى .. أى احترام وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين

ولست أدرى من أين جاءوا بشتى زعموه ، ولماذا اصرار هؤلاء الذين يصرون على أن مصر باتفاقية الفصل الثانى تتعهد بعدم شن حرب على اسرائيل ويذهبون الى أبعد من ذلك ، فيزعمون أننا نتعهد بألا نحرك ساكنا اذا اشتبكت اسرائيل فى حرب مع أى دولة عربية وكأننا ـ كما أرادوا أن يصوروا الموقف بالزيف ـ قد « نفضنا » يدنا من القضية العربية ، فى حين أنها كانت وستبقى قضية مصيرنا نفسه فى المحل الاول ، كما أن الصهيونية عدوتنا نحن فى المحل الاول . تلك خيانة لا نرضاها ولا نتصورها لانفسنا . كما أن رفض تحرير أى شبر من الارض العربية ـ بالحل السياسى أيضا ـ هو خيانة لا نرضاها . فكيف اذا كان لاستعادتنا الممرات الاستراتيجية فى سيناء ؟ لقد قبلنا كما قبلت سوريا مد فترة وقف اطلاق النار شهورا بأمل أن نضع العالم أمام مسئولياته .. وأمريكا فى طليعته . وكان الهدف ومازال أن نقطع مراحل جديدة عبر حل القضية التى نراها فى شرع المنطق والعدالة واضحة ميسورة لا تحتاج الى كل هذا الاخذ والرد لولا ان القوى المعادية « تلويها » وكأنها بالمة التعقيد ، مرة بدعوى الامن ، وأخرى بدعوى الموازين الدولية ، وثالثة بدعوى الضمانات الى آخر مالا تخفى علينا نواياه الحقيقية ، ولن نبرح نجهد فى مجاوزته .

ماذا يعنى قبولنا ـ فى مقابل تقدم قواتنا الى الممرات واستعادة ابورديس ـ وقف اطلاق النار لمدة سنة وتحت شرط عدم الاخلال من الطرف الاخر ؟

هل يعنى أننا اكتفينا بذلك ، ونم نعد نأبه بالتوصل الى اتفاق جديد لصالح سوريا الشقيقة فى الجولان ، ونحن الذين لا ننفك نصر على ذلك ؟ هل يعنى أننا نعلن انهاء حالة الحرب بيننا وبين اسرائيل ، وهى التى لاتزال تحتل أرضا من مصر وسوريا وتطاع غزة والضفة الغربية ؟ هل يعنى أننا صرفنا النظر عن مؤتمر السلام فى جنيف ، وهو الذى عليه ـ وحتما مقضيا ـ أن يطبق قرارات الامم المتحدة ويرمى دعائم السلام دون تراخ ؟ هل يعنى أننا استطنا فلسطين من الاعتبار ، وهى طرف أصيل ولا بد أن تحترم ارادته وحقوقه ؟

لا أحسب أن الامر محتاج الى أن ننفى عن انفسنا أيا من هذه التخرصات « الهازلة ». نحن نسمع ونناقش ونقنع من يريد ، ولكن « هرام » أن تهدر جهودنا وأن يأتى أى « هارب » من الميدان « ليعلمنا » واجبنا !

ليس يخفى علينا ان عدونا غادر ، وان المعركة لم تنته ، وان قواتنا المسلحة الباسلة التى نهضت بدورها فى سخاء نفس وفدائية ينبغى أن تبقى على أهبة الاستعداد وفى أقصى درجات اليقظة والتسليح والتدريب . وهى فاعلة وهى مأمولة وهى منصورة بمشيئة الله .

ان ضمير الشعب المصرى والعربى يدرك ان المعركة طويلة قد تمتد الى اجيال لكنه يثق فى ان كل خطوة نخطوها هى

الى الامام ونحو تحقيق الاهداف القابلة
الواعـدة الموعودة ، وليس على الله
ببعيد ان تلهمنا اصالتنا ، وان تطوع
لنـــا الظروف المواتية اختصار الزمن
ليصبح النصر النهـــائى فى « معركة
الاجيال » اقرب مما نظن .. اذا وثقنا
فى انفسنا ، وعملنا ، واحسنا الظن فى
بعضنا البعض .. فهل نحن فاعلون ؟ □